١٧

شباب محمد صلى الله عليه وسلم



مقومات النصر

في بدر الكبرى، وفتح مكة

محمد فهمي عبد الوهاب

دار الاعتصام

مقومات النصر

في بدر الكبرى وفتح مكة

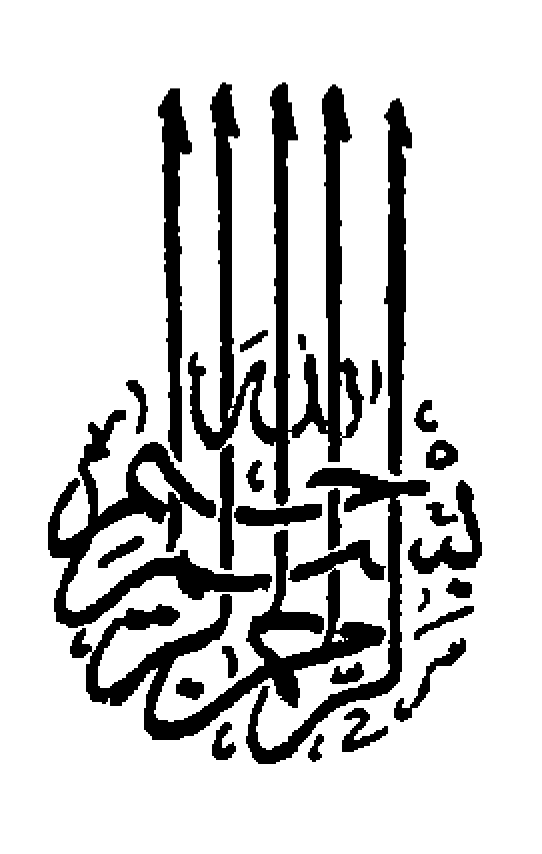
شباب محمد صلى الله عليه وسلم
رسائل الدعوة

مقومات النصر

في بدر الكبرى، وفتح مكة

محمد فهمي عبد الوهاب

دار الاعتصام


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ولى الذين آمنوا ، يخرجهم من الظلمات الى النــور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت ، يخرجونهم من النور الى الظلمات ..

والصلاة والســلام على اشرف الخلق ورائد الحــق ، سيدنا محمد المبعوث رحمــة للعالمين ، وحجة بين الله وبين عباده الى يوم الدين ، وعلى آله وأصحابه وأنصاره وأتباعه وذريته وآل بيته .. الذين اعتزوا بالله فأعزهم ، ونصروه واستنصروه فنصرهم وجعل العاقبة لهم .. ((**الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم إيمانا وقالوا حســبنا الله ونعم الوكيــل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ، واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيــم**)) .

أما بعــد :

بدر .. دســتور النصر :

ان الحديث عن بدر هــو الحديث عن دســتور النصر

فى حياة الدعوة الاسلامية ، بل نهج المؤمنين بعقيدة السماء على اختلاف أنبيائهم وأصفائهم من خـلال التاريخ البشرى وحتى يرث الله الأرض ومن عليها ..

ان بدر هى قاعدة السـماء فى الأرض لانتصار الحـق بأهل الحق ، وهى قاعدة مطردة على امتداد الرسـالات ، ترتبط فيهـا الأسـباب بالنتائج على سـنن كونى مستقيم **« إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد »** .

فلم تكن بدر فلتة من فلتات التاريخ لا تخضع لمقاييس القوة والعدة ، أو موازين النصر والغلبة ، كمعركة بين فئتين متباينتين ، عددا وإعدادا ، وإنما كانت على العكس من ذلك كله قائمة على كل هذه المقاييس وتلك الموازين .. اذ العبرة هنـا بنوعية الفئتين كيفا وتكوينا .. وليس بالقلة العـزلاء أو الكثرة الغاشمة ، فان لم تكن كذلك فانها تخرج عن مضمار الحقائق الثابتة فى حياة المؤمنين منذ نزلت رسالات السماء الى عالم المعجـزات التى تخالف سنن الكون ، ولا تقـوم أساسا مطردا لمعارك الحق فى دنيا البشر ..

ان حقيقة النصر فى بدر وما سبقتها ، لم تكن الا محصلة الوفاء للعقيدة ، والتزام كلمة التقوى ، والخروج من كل حول وقوة الى حول الله وقوته ، والانتصار على النفس بحـرب

هواها وشهواتها لتكون ربانية بما استحفظت من كتاب الله وكانت عليه من الشهداء ..

وهكذا لم يكن أهل بدر بدعا من المؤمنين ، ولا رسولهم بدعا من الرسل ، وانما جمعتهم فى ساحة الحق سنة الله التى لا تتحول ولا تتبدل ، وناموسه الذى لا ينثنى ولا يتغير . **((إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)) ((وكان حقا علينا نصر المؤمنين)) ((فقاتلوا أولياء الشيطان ، إن كيد الشيطان كان ضعيفا))** .

ومثال على هذه الحقيقة ، انتصار القلة الصابرة القليلة من جند طالوت أمام الكثرة الغاشمة من أعداء الله فى سجل بنى اسرائيل من بعد موسى .. ساقها قصص القرآن لرسول الله : **((فلما فصل طالوت بالجنود ، قال إن الله مبتليكم بنهر ، فمن شرب منه فليس منى ، ومن لم يطعمه فإنه منى إلا من اغترف غرفة بيده ، فشربوا منه إلا قليلا منهم ، فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ، قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين . ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ، فهزموهم بإذن الله وقتل داوود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين . تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق**

وإنك لمن المرسلين » . (١)

بل ان هذه الحقيقة ماضية ما تمسك المؤمنون برسالتهم واتبعوا نهج رسولهم .. ولقد برز فى تاريخ الاسلام امثلة على أن بدرا ماضية بالمؤمنين الصادقين على مدى التاريخ وحتى تقوم الساعة .

ومثال على ذلك نصر الله لبعث رسول الله بقيادة صاحبه العلاء بن الحضرمى وهو على رأس أربعة آلاف فارس لحرب أعداء الله فى أقصى الجزيرة على خليج فارس ، حين قاتلوا عشرات الاوف وجهـا لوجه وقتلوا منهم ما شاء الله حتى التجأوا الى الساحل من أسفل جبل تجمع عليه الأعداء من فوقهم بقضهم وقضيضهم ، ولم يكن من الفناء شك وقد فصلهم ماء البحر عن النجاة ، لولا أن وقف قائدهم المؤمن يخطب جنده ويقول : انى داع بدعاء علمنيه رسول الله فأمنوا .. ثم اتبعونى ..

ودعا القائد المؤمن فقال :

— اللهم يا عليم يا حليم يا على يا عظيم ، انجزنا ..

---

(١) لقد اثبت التاريخ أن عداد المؤمنين الذين ثبتوا مع طالوت كان عداد أهل بدر سواء بسواء .. ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا .. !!!

ثم ضرب فرسه الى الماء فسار فوقه وسار جنوده بخيلهم من ورائه ألى بر النجاة والنصر ..

ولقد أقسم العلاء وجنده لرسول الله قائلين :

ـ والله ما ابتل لنا نعل ولا حافر .. !!

وأمثلة أخرى لا تعد ولا تحصى .. فتح مصر .. فتح فارس .. فتح الشام .. فتح أفريقية على يد عقبة بن نافع . فتح الأندلس على يد طارق بن زياد .. فتح الهند على يد محمد بن القاسم ، فتح القسطنطينية ، طرد التتار ، هزيمة الصليبيين ...

ولقد جمع عمر بن الخطاب فى خطابه الى قائده سعد ابن أبى وقاص مقومات نصر جند الله حين بعثه لحرب الفرس حيث قال :

« أوصيك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصى منكم من عدوكم ، فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وانما ينصر المسلمون لمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا طاقة بهم ، لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم ، فاذا تساوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا ، والا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا ، ولا تقولوا أن عدونا

شر منا فلن يسلط علينا وان أسأنا ، فرب قوم سلط عليهم من هو شر منهم .. »

ولقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين على مدى الزمن ، عاقبة الخروج على طاعة الله من الذلة بعد العزة ، والفقر بعد الغنى ، والهزيمة بعد النصر ، والانحسار بعد الانتشار ، والعبودية بعد السيادة .. فقال صلى الله عليه وسلم :

ما بالكم بخمس إذا وقعت فيكم وأعوذ بالله أن تقع فيكم أو تدركوهن :

- **ما ظهرت الفاحشة فى قوم قط يعمل بها فيهم علانية إلا أصابهم الطاعون والأوباء التى لم تكن فى أسلافهم .**

- **وما منع قوم الزكاة إلا منعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يمطروا .**

- **وما بخس قوم المكيال والميزان إلا أصيبوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان .**

- **ولا حكم أمراؤهم بغير ما أنزل الله إلا سلط الله عليهم عدوهم فاستنقذوا بعض ما فى أيديهم .. ؟**

● ولا عطلوا كتـــاب الله وســـنة رسوله إلا جعـــل الله بأسهم بينهم .

واذا ما تمعنا فى هـــذا الحديث ادركنا أين نحن من دين الله ، وأين نحن من اهل بدر ، وأين نحن من نصر الله ..

الا أن باب التوبة لا يزال مفتوحا لعز الدنيا والآخرة .

الا أن نداء الحق لايزال يجلجل فى الآذان لرجعة الى الحق تمحو الضلال ، وتعيد العز بعدالذل ، والقوة بعد الضعف ، والكرامة بعد المهانة ، والتحرير بعد التدمير .

ولعل فى مقومات النصر فى بدر سبيلا للعودة الى حظيرة الايمان وساحة الرشاد وأنوار اليقين ...

((ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا))

***

مكة .. وجوهر العقيدة :

ولقد جاء فتح مكة كما جاءت بدر .. كلاهما فى رمضان شهر القرآن ، قد ارتبطت أسبابهما بأسباب الســـماء سرا واختيارا ، فكما كان رمضان شهر انتصار الحق لأهل الحق

فى أول معاركه ، كان شهر الفتح الأعظم لرسالة الحق بزوال معالم الشرك ومعاقل الوثنية ، فى آخر معاركها فى مكة وما حولها .. ليكون الدين كله لله ..

ولقد تناول الكتاب والمؤرخون فتح مكة ، على انه معركة من معارك الحق أعد لها الرسول الأعظم الاعداد المحكم بصبره وحكمته وبلائه وصدق أصحابه ، فكان نصر الله !! وهذا فى حد ذاته حق ، ولكن ينقصه المضمون الكامل ..

اجل .. ان فتح مكة كان فى ظاهر أمره هو القضاء على معالم الكفر فى الجزيرة لتنطلق دعوة الله فى الآفاق ، وليدخل الناس فى دين الله أفواجا .. ولكن وراء ذلك سر الاسرار فى ميراث البيت الحرام ، أول بيت وضع للناس فى الأرض قبل أن يكون آدم أبو البشر بين المخلوقين .. حين أراد الله أن تقوم فى الأرض حقيقة السماء ، ولتكون الكعبة البيت الحرام نظيرا للبيت المعمور فى أعلى الملكوت تطوف به الملائكة ، حيث يطوف بها أهل الأرض بدءا بآدم أبى البشر ومن خلفه المؤمنون من ذريته على مدى التاريخ البشرى كله حتى يقوم الناس لرب العالمين ..

ومن ثم كانت فريضة الحج هى أول عبادة فى الأرض قام بها الانسان أول ما قام ، ليربط عقيدته بخالقه باذن ربه ولينطلق من مستقر فيضها العلوى حاملا رحمة الله وهدايته

الى العالمين .. وهكذا كان البيت الحرام هـو منطلق البدء لرسالة السماء من قلب آدم عليه السلام ، ومنطلق الخاتمة من قلب محمد صلوات الله وسلامه عليه ، معلنا كمال الفطرة التى فطر الله عليها حقيقة الانسان ، لتسمو بالانسانية الى غايتها العظمى .. كى يتحقق فيها قول الله عـز وجـل : **« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله .. » .**

ان حقيقة فتح مكة انمـا هى بلوغ معين الفيض الالهى لأهل الحق ، قياما للبشرية لتستوى على صراط الله المستقيم ، **« جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس ... »**

ولقد أطال الرسول الأعظم فى دعاء ربه أن يجعل الكعبة قبلته وصـولا الى كمال رسـالته ، فكان له ما أراد ... **« قد نرى تقلب وجهك فى السـماء ، فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطرة .. »** ومن ثم كان همه صلى الله عليه وسلم هو ارث معين السماء من فيض الكعبة وأسرارها .. فكان هذا الهم يلازمه فى صـحوه وسكونه ، وفى يقظته ومنامه ، حتى نزل قوله تعالى : **« لقد صدق الله رسـوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين ، محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون ، فعلم ما لـم تعلموا فجعـل من دون ذلك فتحا قريبا . هو الذى أرسل رسـوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا .. »**

ولقد كان فتح مكة هو نقطة الكمال لدين الحق باستكمال أسباب التمكين لرسالة السماء فى الأرض باذن ربها .. وكانت الارهاصة العظمى حين انزل الله سورة النصر .. ((**إذا جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا . فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا ..**))

ولقد فسرها ابن عباس رضى الله عنه بأنها ايذان بدنو أجل الرسول الأعظم وقرب رحيله ، حين تكتمل الرسالة فتح مكة وارث الكعبة ..

وما كان ذلك غير الواقع .. فلقد ختم الله رسالته بالفتح الأعظم فنزلت آخر آيات السماء على قلب محمد صلى الله عليه وسلم على جبل عرفة يوم الحج الأكبر بعد الفتح .. ((**اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الإسلام دينا ..**)) وهنا ودع الرسول الأعظم الدنيا وقد أتم رسالته وبلغ أمانته ووضع المؤمنين على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ..

وواكب فتح مكة القلوب فى أرجاء الجزيرة العربية كلها ، ودخل الناس جميعا فى دين الله أفواجا ، وصعد الرسول الأعظم الى الرفيق الأعلى تاركا خلفه ورثته الذين اصطفاهم الله من أصحابه وأتباعه .. ولم يمض ثلث قرن من الزمان حتى عم جميع القارات الثلاث ــ أوربا وأفريقيا وآسيا ــ

فيض الحق وفيضانه ، فأمسك الاسلام بكلتا يديه زمام العالمين .. وصارت مكة البيت الحرام قبلة أهل الأرض أبيضهم وأصفرهم وأحمرهم وأسودهم على السواء .. وصارت الكعبة تمثل للعالم أجمع سرة الأرض تؤقت له ساعات الليل وساعات النهار ، وصار المؤذن لصلاة المغرب من فوق الكعبة يضبط للكون نهاية يوم وبدء ليلة .

ولقد ظل الحال كذلك حتى آخر خلافة للمسلمين .. حين تعد بأشباه المسلمين ركاب الصدق ، فباعوا أخراهم بدنياهم فخسروا الاثنتين .. **((وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون))** .

إلا أن ذكرى فتح مكة فى تاريخ الاسلام قد كانت الحافز الأعظم للمؤمنين الصادقين لشكر الله على نعمة السيادة فى الأرض والسماء ، فحفظوا دين الله صدقا وبلاء ورفعوا راية الحق فى سماء الدنيا صرفا وعدلا ، فكان القرآن هو دستور العالمين شرعة ومنهاجا ..

الا أن الاسلام هو الاسلام ، والقرآن هو القرآن .. والكعبة هى الكعبة ، ولكن أين المسلمون ! ؟؟

محمد فهمى عبد الوهاب

***

١ـ مقومات النصر في بدر الكبرى

« ولقـــد نصركم الله ببـــدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم
تشكرون » .

(قرآن كريم)

(١) قانون السماء

اعتاد الناس على أن يكون احتفالهم بذكرى بدر المجيدة من كل عام فى شـــكل حفلات كبيرة تقام ، وخطب حماسية تلقى ، وتصفيق يبلغ عنان السماء ، ثم تتفرق تلك الجمـــوع الزاخرة بعد ذلك كل الى حياته يستأنفها كما كانت ، خاملة لا روح فيها ، ذليلة لا تمت بصـــلة الى ما قـــرع أذنه من بطولة بدر ، وجهاد بدر ، وعزة بدر ، واسرار بدر .

أن غزوة بدر الكبرى فى حقيقـــة أمرها محصلة كاملة لجلال الحق الذى قامت به السماوات والأرض ، واستقام به أمر الوجود فى مضمونه الحق حين خلق الله الانسان وشرفه بعبادته واستخلافه فى هذا الكون .

انها حقيقة الحقائق فى معنى الوجود ذاته كمـــا أراد الله له أن يقـــوم ، منذ خلق آدم أبا البشر ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته ، وأودعه أمانته لتكون فى حقيقتها صراعا موروثا بين حق الله وباطل الشيطان ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها . . استشعرها أول بنيه كما يستشعرها آخرهم من

خلال رحلة الانسان فى هذا الوجود .. ومن ثم كانت رسالة الأنبياء من ذريته فى حقيقــة أمرها هى حرب ابليس اللعين الذى جاهر بعداوة آدم منـذ اليـوم الأول والى أن تقـوم الساعة ، وأعلن : « ليحتنكن ذريته ويقعـدن لهـم بكل صراط .. » .

ولئن كانت بدر هى محصـلة الوفاء للعقيـدة الاسلامية بانتصار أهلها على الشيطان ، والقيام بأمانتها كاملة شاملة تحت لواء الرسول الأعظم ، فانها فى الوقت ذاته هى امتداد لهذه الحقيقة التى جاء بها الأنبياء والمرسلون على اختلاف ازمانهم وأصقاعهم وأقوامهم .. منذ أخذ الله العهد والميثاق على ذرية آدم أول ما أحياه من عـدم حيث قال : ((**وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشـهدهم على أنفسهم ألست بربكم ، قالوا بلى شـهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هـذا غافلين . أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم ، أفتهلكنا بما فعل المبطلون**)) .

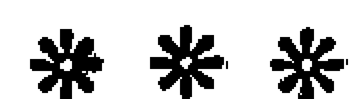
بل منذ أخذ الله العهـد والميثاق على النبيين فى صلب آدم على ما قام ، ليكونوا يدا واحدة مع آخرهم ظهورا وأولهم حقيقة ، فى اقامـة الدين الواحد الذى هـو فى حقيقته حرب الشيطان .. قال تعالى : (**وإذ أخـذ الله ميثـاق النبيين لمـا آتيتكم من كتـاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال أأقررتم وأخـذتم على ذلكم**

إصرى ، قالوا أقــررنا قال فاشــــهدوا وأنا معــكم مــن الشاهدين) .

ان بدرا لم تكن معركة فاصلة بين حق وباطل فحسب ، بل أنها قانون السماء فوق هذه الأرض لا يتغير ولا يتبدل .. ولم تكن نصر قلة قليلة غلبت فئــة كثيرة فحسب ، انما هى ميزان الله الذى لا يخضــع لمقاييس البشر فهــو صنع الحق الأعلى وحكم الله الواحــد القهار . . بل لم تكن فى حد ذاتها معركة بين فئتين متباينتين عددا وعدة وانما كانت معــركة القديم ينتصر بذاته وأوليائه على باطــل الشيطان وحزبه ، لأن القهــر صــفة من صفاته ، ولأنه لا يقف فى مجراه شىء فى الوجــود .

ومن هنــا لم يكن الرسول الأعظم صــلوات الله وسلامه عليه بدعا من الرسل فيما جاء به وما قام له وما صار اليه ، ولم تكن رسالته بدعا من الرسالات من قبله فيما دعا اليــه أو جاهد فيه أو صبر له ، وهــو المنزل عليــه قوله تعالى : ((**فاصبر كمــا صبر أولو العــزم من الرسل**)) وقوله جــل شأنه : ((**قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى ابراهيم وإســماعيل وإسحاق ويعقــوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفــرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ..**))

وإذن فموقعـــة بدر سبقتها بدر وراء بدر لتربط دين الله الواحـــد من خـــلال التاريخ البشرى كله برباط الحقيقة الأزلية التى تحيـــد عن طريقها ولا تلتوى عن سبيلها ، والتى قررها الله فى محكم كتـــابه لتروى للآخرين عبر الأولين فى قصصه الصادق حيث يقول : **« وكان حقاً علينا نصر المؤمنين »** وحيث يقول : **« ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، إنهم لهم المنصورون ، وإن جندنا لهم الغالبون »** . . وحيث يقول : **« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون »** . . وحيث يقول : **« فقاتلوا أوليـــاء الشـــيطان إن كيد الشـــيطان كان ضعيفا »** . . وحيث يقول : **« سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا »** .



(٢) قانون النصر فى أعماق التاريخ الدينى

نعم .. ماذا يمكن أن يقال عن قانون النصر فى أعمـاق التـاريخ الدينى باعتبـار هـذه الغزوة الكبرى محصلة من محصلاته .. ؟؟

إن أول ما تلتئم به عقيدة المؤمن هـو اعتقاده بأن النصر من عنـد الله ، لا يشك فى ذلك ولا يتمارى ، وهذا النصر وقف على أوليائه دون أعـدائه .. وانما تأتى الهزيمـة من قبل النفس المؤمنة حين تلتوى بها السبل ، فتضل عن منهج الحق والطاعة ، وتكون فريسة للشيطان يزين لها الباطل وعرض الحياة الفانى ، حتى تخرج من كنف الله وأمنه ..

ولقـد كانت هذه أول حقيقة تعلنها نشأة الوجود ، حين أوصى الحق سبحانه ذرية آدم فى صـلبه وحتى تقوم الساعة : **((يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنـة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سـوآتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ، إنا جعلنـا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون .))** .

ومن هنا كانت دعوة الأنبياء قائمة على حرب الشيطان في مضمار هذه الحياة ليخلص المؤمن لعبادة الله كما أراد ، حتى ينعم بجلال الحياتين فى الأولى والآخرة ، وحتى تصير عزته من عزته ، وقوته من قوته ، وارادته من ارادته ، قال تعالى : ((**إن الله مـع الذين اتقوا والذين هم محسـنون**)) **ويقول جل وعلا** : ((**بل الله مولاكم وهـو خير الناصرين** .)) ويقول : ((**إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير**)) . . ويقول : ((**ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون**)) .



(٣) عبرة الحق من خـــلال القرون

لقد قامت دعوة الاسلام ببعثة خير الأنبيـــاء والمرسلين ، فربطت بين رسالات الأنبياء جميعا لتقيم فى الوجود خير أمة أخرجت للناس ، وكان عمادها الدينى هـــو الفطرة الانسانية التى فطر الله الناس عليها .. فكان القرآن الكريم هو نداء هذه الفطرة يوقظها لتأتى بما أبدعه الله فى الانسان من خالص التكوين وبديع التصوير ... قال تعالى : ((**فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون**)) .

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم باذن ربه أساس دعوته على النظر والفكر فى النفس وفيما خلق الله حـــولها ولها من جلال الوجود ، ليأخذ المؤمن طريقه الى ربه خوفا ورجاء ، واستقامة وعملا .. وليعلم أن الذى فطر السماوات والأرض وبث فيها من دابة ، جدير بالعبادة وأولى بالاعتماد عليه ممن سواه وما سواه ، ومن ثم علم اتباعه أن الشيطان هو أعدى أعدائهم ، فاجتنبوا خطواته بحرب هواهم وأنفسهم لتخلص لهم حرية العقيدة وآمادها ، وليعبدوا ربهم عبـــادة الأحرار .

ثم كان عمـــاده بالدرجة الأولى أن يربط التاريخ بحقائق القرون السالفة ، ليعلن أن قاعدة العزة والبقـــاء واحدة ، وأساس الذلة والهلاك واحد ، ترتبط فيهما الأسباب بالنتائج على سنن كوني مستقيم .. ((**أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبـــة الذين من قبلهم دمر الله عليهـــم وللكافـــرين أمثالهـــا . ذلك بأن الله مولى الذين آمنـــوا وأن الكافرين لا مولى لهم .**)) ((**ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لمـــا ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزى القوم المجرمين . ثم جعلناكم خلائف فى الأرض من بعـــدهم لننظر كيف تعملون**)) ((**ولقـــد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون . فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشـــيطان ما كانوا يعملون . فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شىء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلســـون . فقطع دابر القـــوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين**)) .

ثم حدد ســـيد المرسلين وضعه ازاء أتباعه بأنه انما هو بشير ونذير لقـــوم يؤمنون . . بما أودعه الله فيهم فطرة تنبع حقيقتها بالخير كله ، ولا تعوقهـــا غـــير الذنوب والآثام والمعاصى والاغترار ، وأنه صلى الله عليـــه وسلم هو أقربهم الى الله وأخوفهم منه ((**قـــل لا أملك لنفسى نفعـــا ولا ضرا إلا ما شـــاء الله ولو كنت أعـــلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى الســـوء إن أنا إلا نذير وبشـــير لقوم يؤمنون**))

ليركبوا مركب الخوف من بارئهم ، فلا يخشون غيره ولايعتزون بسواه ((**الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا**)) وليركبوا بعد ذلك مركب النجاة فى نهج الحق ليكونوا ربانيين بما استحفظوا من كتاب الله فكانوا عليه شهداء .. وليكونوا فى النهاية أهلا لسيادة الدارين تحت قانون الانابة والطاعة والتسليم .. ((**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم**)) . ((**وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما . والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما . إنها ساءت مستقرا ومقاما . والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما . والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاما . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا . إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما . ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا . والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما . والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا . والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذريتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما . أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما . خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما**)) .

وعلى هذا النهج الالهى قام أمـــر الدين فى مجتمـــع المسلمين ، فكان القرآن خلقهم ودســـتورهم ، والرســـول أسوتهم وقدوتهم ، والحق سبيلهم ورائدهم . . وكان الفناء فى نصرة الله غاية أملهم وحظهم .

* * *

(٤) قدوة الصدق فى التطبيق العملى

من خلال ثلاثة عشر عاما ، هى حياة الدعوة الأولى فى مكة ، صدع الرسول الأعظم بأمر ربه ، ليدعـــو الى الله قوما قال الله فيهم : ((**الأعراب أشـــد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ..**)) ومن ثم كانت رسالته صلى الله عليه وسلم شاقة تنوء بها رواسخ الجبـــال . . وكانت حيـــاته كلها صبرا ومصابرة وأسوة للذين يرجون الله واليوم الآخـــر ممن تبعـــه فى طريق البلاء والابتلاء .. تحملوا المشاق وبذلوا النفوس ، يقـــابلون السيئة بالحسنة، والعذاب بالمغفرة ، والقتل والتنكيل بالصبر الجميل .. تحملوا مـــع رسولهم وقائدهم تبعة الصدق بل تبعاته .. فهاجروا الهجـــرة الأولى الى الحبشـــة تاركين أوطانهم وأموالهم وأهليهم . . كما هاجروا الهجرة الثانية اليها تحت ألم الغربة والاستيحاش الا من كنف الله وأمنه . . وبقى المستضعفون منهم فى غياهب الظـــلم يستقبلون أذى الكفـــار وعبدة الأوثان وكل همهم ألا يكـــون الحكم لغـــير الله ، ليقوم أمر الحياة كما يرضى الله .

فهـــذه أسرة ياسر تقضى نحبهـــا تحت قهـــر البغى

والعدوان ، والرسول لا يملك ازاءها وهى تؤدى دور الامتحان الا أن يمر عليها ويقول : **((صــبرا آل ياسر فإن موعــدكم الجنــة))** .

وهــذا بلال يخرجه سيده الى رمضاء مكة ويطرحه فى الهجير على بساط الرمل الملتهب ، ويضع عليه الحجر العظيم ليلفظ انفاسه أو يرجع عن الاسلام ، فلا يزيد على أن يقول : أحد أحد .. انما الله أحد ..

* * *

وهــذه زنيرة مولاة عمر بن الخطاب فى الجاهلية ، يختلف اليها بين آن وآخر من اليوم والليلة بألوان العذاب والتنكيل فلا يتركها الا من فرط تعبه وهو الجبار فى جاهليته ، حتى فقدت المسكينة بصرها وهي لا تملك الا أن تنطق بحــلاوة الايمان ورسوخه .. لا اله الا الله محمد رسول الله ..

وهذا أبو بكر يدفع الأذى عن رسول الله رغم عزته فى قومه ، فيضربه أعداء الله الضرب المبرح حتى تشوه وجهه وضاعت معالمه فلا يكاد يعرفه أحد .. !!

وعلى هذا النحو لاقى أصحاب رسول الله مالاقوا . . مؤمنين بقــوله تعالى : **((أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولمــا يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين))** .

بل هـــذا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه ينزل به المشركون صنوف العذاب وهو يدعوهم الى الحق والنجاة .. حتى الجأوه ذات يوم الى حفرة سقط فيهـــا من ألم الضرب بالحجارة يقذفه بها صبيان ثقيف ومواليهم بالطائف،ولم يتركوه حتى ظنوا أنه قد مات .. ولا يملك الرءوف الرحيم صلى الله عليه وسلم الا أن يقوم وقد استرد بعض قوته ، فيلقاه ملك من ملائكة الله قد بعثه الله اليه ليقول : يا رسول الله لو أردت أن أطبق عليهم الأخشبين ــ وهما جبلان عظيمان ــ لفعلت .. فيكون جوابه : ((**ما بهذا بعثت ، إنما بعثت رحمة ، لعل الله أن يخرج من ظهورهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا .. اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون**)) .. ثم يلجأ الى ربه تواضعا مخافة أن يكون ما أصابه هو تقصير فى حق الله فيقـــول : ((**اللهم أشكو إليك ضعف قوتى وقـــلة حيلتى وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى ، إلى من تكلنى .. إلى بعيد يتجهمنى أم الى عدو ملكته أمرى.. إن لم يكن بك غضب على فـــلا أبالى ، ولكن عافيتـــك هى أوسع لى .. أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمـــات وصلح عليـــه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل بى غضـــبك أو أن تحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك**)) .

ولم يكتف المشركون بكل ذلك .. بل انهم حاصروا الرسول واتباعه فى شعب أبى طالب ثلاث سنوات يمنعونهم القوت

ويفرضــون عليهم الجــوع والحــرمان ، فلا يبايعونهم ولا يزاوجونهم ولا يعاملونهم ، حتى اكلوا ورق الشــجر وبعر الابل ابقاء على الحياة ، وهم راضــون مستسلمون لأمر الله ، صابرون على بلائه وابتلائه ، صادقون فى حبه ومرضاته .. حتى لين ذلك تلك القلوب الجامدة المغلقة ، اعجابا بصبرهم وفرقا من قوتهم واحتمالهم ، وحتى ثار بعض المشركين فى وجه رؤسائهم واشرافهم ، فنقضوا عهد البغى والعدوان .

وآخى رسول الله بين صحابته أخوين اخوين يقوم القوى فيهم بأمر الضعيف ويؤدى القادر منهم حق المحتاج ، وجعل صلى الله عليــه وسلم لأخوتهم حقوق الدم والنسب ، ومن ثم سلكوا سبيل الدعوة الصابرة إلى الله ، ليخرجوا اعـــداء الله واعداءهم من الظلمات الى النور .

وكان لابد للكفار والمشركين أن يقضوا عليه صلى الله عليه وسلم القضاء المبرم ، حيث اجتمع رؤسائهم واشرافهم فى دار ندوتهم يقلبون وجــوه الرأى . . وهنـــا برز اليهم الشيطان نفسه وهــو عدو دعوته ورائد أعدائه فى صورة اعرابى شيخ من نجد ، فلا تروقه وسائلهم على خطورتها ، فيشير عليهم بأن يجمعــوا أربعين شـــابا من كل القبـــائل ليضربوه بسيوفهم ضربة رجل واحد فيضيع دمه فى القبـــائل كلها ، فلا يستطيع بنو هاشم أن يثوروا فى وجهها جميعا .. وهتف أولياء الشيطان بالرضى ، فهو وليهم وهم حــزبه .. فأعدوا لهذا الأمر الخطير عدته ..

وكانت الهجرة الى المدينة .. حيث لحق المسلمون باخوانهم الأنصار الذين بايعوا الرسول بمكة سرا بيعتى العقبة ، وقد اعجبوا بصمود النبى وأصحابه من خلال مواسم الحج والتجارة فى الجاهلية .. فآمنوا به ايمان الصادقين ، وعاهدوه على أن يمنعوه اذا خرج اليهم فى مدينتهم مما يمنعون منه نساءهم وابناءهم .. ومن ثم لحق بهم الرسول بعد أن اطمأن على سلامة أصحابه فى هجرتهم ، فكان آخر من هاجر ، شأن القائد الشفيق الأصدق .. كما آخى بين المهاجرين والأنصار ، إخاء فاق اخاء الدم والنسب ، مرضاة لله ورسوله ، حتى قال قائل الانصار سعد بن الربيع لأخيه المهاجر عبد الرحمن بن عوف : يا أخى ، هذان بيتان لى فاختر أحسنهما ، وهاتان ضيعتان لى فاختر خيرهما ثمرا .. وهتان زوجتان لى فاختر اجملهما لأطلقها لك ، وهى راضية بحكم الله ورسوله .. وكانت عفة المهاجرين حين يرد عليه عبد الرحمن بقوله : يا أخى بارك الله لك فى أهلك ومالك ، ولكن دلنى على السوق . . ((**والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا ، ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**)) .

وأقام الرسول الأعظم المجتمع الاسلامى الحر بعاصمة الأحرار ، فصاغه على أرض الله خير أمة وأتقاها ، وألصقها بكتابه وكتبه علما وعملا ، واستيعابا ونظرا .. ليؤدى دوره المنشود اعلاء لكلمة الله ونصرة دينه ، وذودا عن حدوده وتعاليمه . .

(٥) عبرة الالتزام والطاعة

من خلال عام وبعض عام بعد الهجرة تشوق المسلمون فيه لخوض معارك الحق حتى لا تكــون فتنة ويكون الدين كله لله ، ولكن الرسول الأعظم مع استعداده واعداده ملتزم بالصبر انتظارا لأمر الله .. ونزل قول الحق على قلبــه : **« أذن الذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقــولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامــع وبيع وصلوات ومساجــد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » .**

ومن هنا أتى دور بدر فى أول امره ، الا يشــكل معركة تخاض ، وانما تمثل فى جماعة صغيرة من المهاجرين والأنصار بقيــادة رسول الله صلى الله عليــه وسلم لم يزد عددهم عن ثلاثمائة وثلاثة عشر ليس لهم الا سلاح المسافر .. السيوف فى القرب .. يعتقبون سبعين بعيرا وفرسين ولا دروع لهم ،

وكانت وجهتهم أن يعترضـــوا عيرا لأبى ســـفيان واشراف قريش محملة بالتجارة يقودها بضـــعة نفر .. واذن ، فهم لم يخرجوا لحرب ولم يتصوروا وقوعها ..

وسلمت القافلة ووصلت الى مكة تعلن الخبر المزعج .. فثار ثائر الشيطان ، ودوى نفير الحرب الغاشمة فلم يبق فى مكة أهـــل بيت الا خرج حتى اكتمل جيشهم ألفـــا بقيـــادة عدو الله أبى جهل . . قد أدرعوا بسبعمائة درع وتترسوا بالحديد حول أجسامهم حتى لا ترى منهم غير أعينهم ، ومعهم ستمائة من الابل ، ومائة من الخيل ، وتسلحوا بأفتك ما تعرفه الجزيرة من عدة الحرب ، وخرج معهم الشيطان الرجيم نفسه وقد تبدى فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجى وكان من أشراف كنانة ، وكان بين قريش وكنانة ثأر خافته قريش فى خروجها ، فقال لهم الشيطان انما انا جار لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشىء تكرهونه .. فخرجوا سراعا ..

وما كان غير قليـــل حتى أحاط هذا الجيش العظيم بتلك الحفنة القليلة العزلاء .. فماذا كان الأمر .. وماذا كانت حصيلة أهل بدر ليصمدوا فى وجه ذلكم الطوفان الطاغى .. وماذا كانت عدتهم لملاقاة ذلكم الجيش الجرار ؟؟

لقـــد كان امتحانا قاسيا فى ظاهر أمره ، تناول منهج الدين كله فى قلوبهم ، فاستوعبته تلك القلوب العامرة وفاضت

عليـــه .. وتناول عبر القرون جميعا من خلفهم ، فوسعتها نفوسهم وأفئدتهم ، فهم قـــد رأوا جلال الحق الأعلى يملأ جوانحهم ، فرأوا قلتهم كثرة وكثرة أعـــدائهم قلة ، أيقنوا أنهم فى معركة الحـــق يدعـــوهم اليها ، فوهبوا لها دماءهم وأرواحهم ، وخرجوا من حولهم وقوتهم الى حول الله وقوته ، فهو بيده ملكوت كل شىء ، وهو القاهر فوق عباده ، وهو الغالب على أمره ، وهو على كل شىء قدير .

بدأت عبرة الحق الأعلى والاطمئنان الأوفى فى صـــدق الكلمة فى ساعة العسرة ، حين لقى الرسول وبعض أصحابه اعرابيين فسألوهما عن جيش العـــدو ، فسألا رسول الله وأصحابه دون أن يعلماهم عن أشخاصهم بعد أن دلاهم ، فكان جواب الصادق الأمين : ((**نحن من ماء**)) .. فاستشكل الجواب عليهما فظناهم من اى ماء للقبائل ..

وتتابعت عبر الحق الأعلى فى قيام العدل ولو فى أصغر قضية من قضاياه ، فهذا رسول الله يسوى صفوف المسلمين بجريدة فى يده ، فمست فى رفق بطن صاحبه سواد بن عزية لبروزه قليلا عن الصف ، فقال رضى الله عنه مبتسما : لقد أوجعتنى يا رسول الله . فما ملك الرسول فى ساعة العسرة والموت الأحمر يحيط به وبأصحابه الا أن كشف عن بطنـــه الشريف وقال : ((**استقد منى يا سواد**)) . . فأسرع اليه الصحابى واحتضنه حتى مس جلده جلد الرسول وهو يقول :

والله ما أوجعتنى ، ولكنى رأيت ان هـــذا هو آخر العهد بك فأحببت أن يمس جلدى جلدك كى لا تمسنى النار ..

ذلك أنها قضـــية حق على صغر شأنها ، لا تفوت على اهل بدر وقائدهم ..

وعبرة اخرى من عبر الحق الأعلى حين يتقبـــل صلى الله عليه وسلم المشورة من احـــد أصحابه فى منزل حفنة المسلمين من أرض المعركة فى بدر وهـــو المعصوم ، ليأخـــذ المسلمون بالأسباب مع التزام كلمة التقوى .

وتتلوا العبر العبر ، وينظر المسلمون فى عدوتهم الدنيا ، فاذا الجيش الجرار فى العدوة القصوى أمامهم فجأة ، وصدق الله حين يقول : ((**إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعـــاد ، ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا . ليهلك من هلك عن بينـــة ، ويحيى من حى عن بينة وإن الله لسميع عليم**)) .

وتتوالى عبر الحق القديم فى تثبيت أقدام أهله فى ساعة العسرة ، فتنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ، حتى أنه ليغشاهم النعاس والنـــوم دون ما اكتراث بعـــدو غاشـــم جبـــار .. يقـــول الله تعالى : ((**إذ يغشيكم النعاس أمنـــة منه وينزل**

عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان، وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام » .

ثم تتوالى عبر الحق تباعا فينظر الجيش الجـرار الى حفنة المسلمين فى قلتهم وقد سـبق اليهم جلال الايمـان وثبات اليقين ، فتتزعزع نفوسـهم حتى ليخيل اليهم أنهم يفوقونهم قوة وعددا وعدة ، فبدأ الخلاف يدب فى صفوفهم جبنا وخورا وفرقا ..

فهذا أبو سفيان نفسه ينادى فيهم ويقول : انما خرجتم لتمنعـوا عيركم ورجالكم فقد نجاهـا الله فارجعـوا .. ويعارضه أبو جهل فى قسوة وشدة ويقول : والله ما ترجع حتى نرد بدرا فنقيم بها ثلاثا فننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العـرب وبمسـيرنا وجمعنا ، فلا يزالون يهابوننا أبد الدهـر .. ويعارضـه الأخنس بن شريق مخاطبا قومه قائلا : يا بنى زهرة قد نجى الله أموالكم ، وخلص لكم صاحبكم مخـرمة ابن نوفل وانما نفرتم لتمنعوه وماله فارجعوا فانه لا حاجة بكم أن تخرجوا فى غير منفعة ودعوا ما يقول هذا ..

فرجع بنو زهـرة فلم يشهد بدرا واحدا منهم ..

وبينما المشركون فى خلافهم وفرقهم .. اذ يقبل عليهم

عمير بن وهب الجمحى وكانوا قد بعثوه ليستطلع لهم أمـــر المسلمين فيقول لهم بأعلى صوت : يا معشر قريش لقـــد رأيت البـــلايا تحمل المنايا ، رجال يثرب تحمل الموت الناقع الا ترونهـــم خرسـا لا يتكلمـــون ، قوم ليس لهـــم منعة الا سيوفهم ، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلا منكم ، فاذا أصـــابوا منكم عدادهم فما خـــير العيش بعد ذلك !! ؟ فروا رأيكم ..

وتابعه بعض الأشراف يدعونهـــم الى الرجـــوع وترك الميـــدان ..

ولكن أبا جهـــل خاف الفشـــل من قومه فوضعهم على شفا الحرب .

* * *

(٦) حصـــيلة الحـــق

ونظر صلى الله عليه وســـلم الى أعدائه مرة أخـــرى فرآهم وقد انتشروا فى آفاق المعـــركة فبدت كثرتهم الهائلة وسلاحهم الرهيب أمام المسلمين .. ليقضى الله أمـــرا كان مفعولا ولتمضى ســـنة الله التى لا تتبدل فى اختيار أمر المؤمنين من أعمـــق أعماقهم ان كانوا للنصر أهلا ولتأييد رســـولهم صدقا وبلاء .. وحتى يتسنى للرسول الأعظم أن يدعو لهم ربه ، شأن أى رســـول سبقه فلا يدعو لقومه الا اذا كان أتباعه أهلا للدعاء بالنصر والتأييد .. فأقبل على أصحابه يقول : ((**هذه مكة قد ألقت اليكم أفلاذ أكبادها**)) ، ثم نظر الى المهاجرين ، ففهموا ما يريد .. فقام من بينهـــم أبو بكر فقـــال وأحسن ، ثم قام عمـــر فقال وأحسن .. ثم انبرى المقداد بن عمـــرو ، وقد انتقل بروحه عبر القرون ليستنبط الحقيقة من قصص القرآن فيقف عليها ممثلة فى قوم موسى حين خرج بهم لقتال عدوهم فى أرض القدس .. فكان جوابهم ((**إن فيهـــا قوما جبارين فإن يخرجوا منهـــا فإنا داخلون**)) ثم قالوا له : ((**اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون**)) فما كان من أدب النبى موسى شأن أى رسول الا ان قال :

« رب انى لا أملك الا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القـــوم الفاسقين ، قال إنها محـــرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين » ثم جعل المقداد يقول باسم المهاجرين : يا رسول الله ، امض لما أراك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى « **اذهب انت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون** » ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون .. ثم نظر صلى الله عليه وسلم الى ناحية الأنصار ، فوقف سيدهم سعد ابن معـــاذ يعلن كلمة الوفاء للعقيدة ، والولاء لعبرة القرون فى قصص القرآن ، فقال : يا رسول الله ، لقد آمنا بك وصدقناك وشـــهدنا أن ما جئت به هو الحـــق ، وأعطيناك على ذلك مواثيقنا على الســـمع والطاعة ، فامض لمـــا أردت فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق ، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد .. وما نكره أن تلقى عدونا غدا ، انا لصبر فى الحرب صدق فى اللقاء ، لعل الله أن يريك منا ما تقربه عينك ، فسر بنا على بركة الله ..

وأشرق وجه رسول الله برضوان الله وقد رأى الوفاء ينزل من السماء فقال : « **سيروا وابشروا فإن الله قد وعدنى إحدى الطائفتين ، والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم** » ..

وأخذ صلى الله عليه وسلم يدعـــو ربه حتى غاب عن نفسه ، وحتى سقط عنه رداؤه وهو ضارع الى ربه مناجيا

يقول : « اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذى وعدتنى . اللهم إن تهلك هذه العصــابة من أهل الســلام فلن تعبد بعد ذلك فى الأرض » . !!

ثم اتجه بوجهه نحو أعداء الله وبيده حفنة من الحصباء فقذفها نحوهم ، فما من عين فيهم الا وقد أصابها منها شىء .. ثم تلا قوله تعالى : ((**سيهزم الجمع ويولون الدبر ، بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر .**)) .. وصـــدق الله العظيم حيث يقــول : ((**وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين بلاء حسنا إن الله سميع عليم**)) ..

وبدأت معركة الحق بالمبارزة بين ثلاثة من أشراف قريش وفرسانها ، فأسرع المسلمون كل يعرض نفسه على رسول الله ، حتى أقبل فيهم صحابى من أصحابه وجد أباه فيهــم فأحب أن يكون هو قاتله .. ولكن الرسول العظيم أبى الا أن يكون أول من ينزل المعركة آل بيته فانتدب لهم عليا وحمزة وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، وما كانت الا جولة حتى كتب الله النصر للحق وأهله .

والتحم الفريقان المتباينان واشتد أوار المعــركة وحمى وطيسها والقائد الأعظم يتقدم أصحابه محرضا ومحفزا وهو يقول ضمن ما يقول : **والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم**

رجل فيقتل صابرا محتسبا ، مقبلا غير مدبر ، الا أدخله الله الجنـــة ..

ويسمع قـــوله صاحبه عمـــر بن الحمام وكان فى يده بعض تمرات يأكلهن ، فألقى بهن فى الأرض وقال وهو يسرع نحو الأعـــداء : بخ بخ .. أفما بينى وبين أن أدخل الجنـــة الا أن يقتلنى هؤلاء .. فاقتحم الصفوف يقاتل أعداء الله حتى قتـــل ..

وعلى هذا النحو الصادق دخل جنود الايمـــان معركة الحق .. وما كانت الا برهة حتى أرعدت السماء وأبرقت ، لينزل من ســـماء الله جنـــد الله من الملائكة يتقدمهم جبريل ومكائيل من ثنايا النقـــع .. وينظر الرســـول الأعظم الى صاحبه أبى بكر مشـــيرا الى مقدم الملائكة وهو يقـــول : **((أبشر يا أبا بكر فقد جاء مدد السماء الثالثة .. وصدق الله حيث يقول : ((إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معـــكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب ، فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان . ذلك بأنهم شاقوا الله ورســـوله ومن يشـــاقق الله ورســـوله فإن الله شـــديد العقاب .)) .**

***

٧ ــ اندحــار الشــيطان

ولقد رأى الشيطان الرجيم نزول الملائكة وهو يشترك فى المعركة مع أعداء الله ، فما كان منه الا أن صـــاح صيحة طرقت آذان آالأعــداء وهو يفر من الميدان وقد رأى جبريل الأمين يقود فرسه اليه وعليه عدة الحــرب ، فنكص على عقبية يتبعه قبيله مذعورين مدحورين ، فيتشبث به الحارث ابن هشــام وهــو ما يزال يظنه سراقة بن مالك ، فوكزه الشيطان الرجيم فى صدره واطلق لساقه العنان حتى وصل البحر ، فألقى بنفسه فيه وهو يهتف بربه يقول : اللهم انى اسألك نظرتك اياى(١) .. ولقد تصايح المشركون به وهو يولى الأدبار يقولون : يا سراقة .. أما زعمت انك لنا جار ! فما زاد من قوله : انى أرى ما لا ترون ، انى أخاف الله والله شديد العقاب .. !!

وصدق الله حيث يقول : « **وإذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم ، فلما تراءت الفئتان نكص على عقبــه وقال انى برىء منكم . انى ارى مالا ترون انى اخاف الله والله شديد العقاب** » .

(١) يعنى قول القــرآن الكريم « انظــرنى الى يــوم يبعثــون » .

وهكذا كان نصر الحق من السماء والأرض ، حيث أسفرت المعركة فى ساعة من نهار عن قتل سبعين من المشركين وأسر سبعين بأيدى المؤمنين والملائكة ، ونال الشهادة من المسلمين ثلاثة عشر فحسب ... وصدق الله الذى لا تتغير سنته ولا تتبدل ، حيث قال : ((**ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين . إنهم لهم المنصورون . وإن جندنا لهم الغالبون ..**)) صدق الله العظيم ..

***

٢- فتح مكة
الهدف .. والوسيلة

((لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شـــاء الله آمنين ، محلقين رءوســـكم ومقصرين لا تخافون ، فعلم ما لـــم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحـــا قريبا . هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا)) .

(قرآن كريم)

١ ـ الهـــدف

المضمون القاصر :

لقد تناول المؤرخون والباحثون غـزوة الفتح ـ فتـح مكة ـ على أنها معركة جيش أنتصر ، وان لم يدخل معركة حقيقة مع كفـار كريش .. فلقد كان لحسن اعداده قـوة وعتادا ، وهيبة وتنظيما ، بقيادة الرسول الأعظم صلوات الله وسـلامه عليه ، ما أذهـل الكفار حتى عن الدفاع عن أنفسهم ، ففروا الى البيوت وهرعوا الى الجبال والبوادى نجاة بأرواحهم ودمائهم من موت محقق ..

وهذا لعمرى مضمون قاصر عن حقيقة الفتح الأعظم .. اذ ان جيش الفتح قد كان تعداده عشر آلاف او يزيد . حيث كان يتقدمه الرسول الأعظم ومن خلفه المهاجرون والأنصار والصـحابة الأكرمون من شتى بطون القبائل ... واجهوا اعـداء الله على غرة ولـم يكن تعدادهم أكثر من ألفين قد حوصروا من كل منافذ البلد الحرام .. فكان الغرض الظاهر من هذه القوة العظمى هو حسم الأمر دون اراقة نقطة من دم أو ازهاق نسـمة من روح .. ولا عبرة بمـا كان عند

الخندمة من قتل بعض من تصدوا لجيش الفتح أمام خالد بن الوليد ولما يزيدوا عن اثنى عشر كافرا .. !!

وهكذا كان من تحصيل الحاصل أن يسلم أهل مكة جميعا وجوههم لله رب العالمين ، ويصبحوا بين عشية وضحاها من عداد جند الله لحرب أعداء الله ورسوله ..

بل وهكذا تبرز أسرار الفتح حيث كان فتحا للقلوب لا فتحا للديار .. بل وتبرز من خلاله أسرار الكعبة بفيض السماء ، لتقوم فى أرض الله حقيقة الوجود ، ولتستوى الانسانية من جديد على منهج الحق والرشاد والكمال .. وقد كان هذا هو دور الكعبة على امتداد التاريخ البشرى كله بدءا من آدم أبى البشر وانتهاء بمحمد خاتم المرسلين صلوات الله وسلامه عليه .. أجل .. لقد استدار الزمان كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض .. !!

* * *

الكعبة مهبط الأسرار العلوية :

لقد ربط الله قيام كلمته فى الأرض بقيام الكعبة المباركة ، حتى قبل خلق آدم أبى البشر عليه السلام .. فكانت معين الدعم الالهى للفطرة الانسانية على امتداد التاريخ البشرى كله .. قال تعالى :

ـ « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس » ..

وقال جل شأنه :

ـ « إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين .. » .

ومن ثم كانت الكعبة هى محـــور الصـــلة بين الأرض والسماء . حيث أمر الله ملائكته ببنائها والحج اليها والطواف حولها ـ طوافهم حول بيته المعمور المتعامد فوقها بأعالى الملكوت ـ فكان أول ما قام به آدم بعد هبوطه من السماء الى الأرض من لون العبادة هو حج البيت بأمر ربه .. فلما انتهى من حجه لقيته الملائكة مستبشرين ومبشرين يقولون :

ـ بر حجك يا آدم ، لقـــد حججنا هـــذا البيت قبلك بألفى عام .. !!

* * *

ومن هنا كانت الكعبة هى معين الأسرار العلوية لقيام دين الله فى الأرض على مدى رسالات الرسل منذ آدم حتى يرث الله الأرض ومن عليها ..

أليست الكعبة هى شـــاهد الحق على ذرية آدم حين أخذ ميثاقه عليها وهى جواهر راشدة فى ظهره يوم خلقه .. وأودع ميثاقه الحجر الأسود فى مضمار من صنعه الأعلى ، ليشهد للمؤمن بالوفاء ، وعلى الكافر بالجحود . ! ؟

قال تعالى :

ـ ((وإذ أخـــذ ربك من بنى آدم من ظهـــورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ، قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل ، وكنا ذرية من بعدهم ، أفتهلكنا بما فعل المبطلون ..)) .

يقول على كرم الله وجهه :

ـ ان الله حين أخذ الميثاق على الذرية ، كتب به كتابا فألقمه هذا الحجر ، فهو يشهد للمؤمن بالوفاء ، ويشهد على الكافر بالجحود ..

* * *

وهذا معنى قول الحجيج أمامه عند بدء الطواف كمـــا علمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر ربه :

ـ اللهم ايمانا بك ، وتصديقا بكتابك ، ووفاء بعهدك ، واتباعا لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم .

ولقد جعـــل الله هـــذا البيت الأقدس ، أمانا لغضب السـماء أن يقع على الأرض ، وقرن بقاءه ببقاء الكون .. فقال عز وجل :

ـ « واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا .. » .

وتحدثنا أخبار قوم نوح ، حين دعا عليهم نبيهم فقال :

ـ « رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا . إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا . » .

هنـــاك أجرى الله ســـنته على بيته ، فرفع بنيانه الى الســـماء ليأخذ النكال طريقه الى الأرض ، وامـــر السماء أن تصب ماءها على الأرض صـــبا ، وأمر الأرض أن تتفجر بالماء انهـــارا ، حتى غرق القوم ، ونجى الله نوحا والذين آمنوا معه .

***

ولقد جعل الله هذا البيت الأقدس دار الأمان لمن دخله مستأمنا حتى من غضب السماء ، مؤمنا كان أو فاسقا على السواء .. وساق لذلك مثلا من عبر القرون ، كما حدثت بذلك أخبـــار قوم لوط ، حين انزل الله عليهـــم الحجارة من السماء تحصدهم وتبيدهم من الوجود بما كانوا يفسقون .. الا ما كان من أمر احدهم حينما فر الى البيت الحرام وهو يائس من النجـــاة ، وكان حجر السماء متجها اليه ، فلمـــا دخل الرجل ساحة الكعبة ، وقف الحجر عن النزول وظـــل معلقا بين الســـماء والأرض ، وبقى الرجـــل محتميا فى بيت

الله اربعين يوما كاملة ، يعيش على ماء زمزم وعلى ما يحصل عليه من طعام الصالحين داخل الساحة الشريفة ، فلما خرج سقط الحجر عليه فمات مكانه . !! .

* * *

الكعبة حبل الاعتصام :

ولقد جعل الله هذا البيت الأقدس حبل الاعتصام بالحق بين أهل الفطرة حين كانت الخلائق تضل عند انقطاع سبيل الوحى على فترات الأنبياء بين الرسالة والرسالة ، وجعله سر الوجود ورمز البقاء فى حياة الكون الى الأجل المكتوب ، فقال سبحانه فى حديثه القدسى :

ـ « إذا أردت أن أخـــرب الدنيا بدأت ببيتى فخربته ، ثم أخرب الدنيا على أثره .. » .

ولقد جعل الله هذا البيت الأقدس ، مصـــدر نداء الحق الى آفاق الوجود كله ، يجمع بسره الأعظم قلوب الخلائق على كلمة الهدى والرشاد ، وصـــاغ هذه الحقيقة العظمى على يد ابراهيم الخليل عليه السلام ، حين أمره بأن يطهر البيت بعد أن بوأه مكانه المطمور فيه فى باقع من الأرض ، ليرفع عنه غبار الســـنين وآثار الطوفان ، حتى انتهى الى قواعده فرفع بناءه مع ولده اسماعيل .. ثم أمـــره بالنداء فى آفاق الكون ليهرع الناس اليه .. حيث قال سبحانه :

« وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا ، وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام .. » .

ويتساءل ابراهيم بينه وبين نفسه ، فيقول :

— ومن ذا الذى يسمع صوتى ! ؟

فيجيبه المولى سبحانه وتعالى فيقول :

— **« إنما عليك النداء وعلينا البلاغ » !!**

***

الكعبة أمان الوجود :

ولقد جعل الله هذا البيت الأقدس ، عنوانا على أمان الكون كله لاستقبال أشرف رسالة وأكملها ، وساق لذلك آية حفظه من أصحاب الفيل ، حينما تقدم أبرهة الحبشى بأفياله واقياله لهدم الكعبة ، والقضاء على سحرها الروحى فى نفوس الخلائق ، ليتوجهوا الى كنيسة باليمن من دونها .. حينئذ أرسل الله على أعداء بيته الهلاك الأعظم فجعل كيدهم فى تضليل ، وارسل عليهم طيرا أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل . فجعلهم كعصف مأكول . !!

ومن ثم استضاءت حنايا الكون كله باشراقة الحق الأعلى

بمولد سيد الأنام عام الفيل ، ليرث سر السماء وليقود ركب الانســانية الفطرية من دار التمكين وفيوضاته العــلوية فى ساحة الكعبة البيت الحرام ..

وهكذا بدأت رســالة الاسلام فى ساحة البلد الحــرام تنزيلا بالوحى حيث قال الله :

ـ ((اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنســان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنســان ما لم يعلم ..)) .

واكتملت تنزيلا بالوحي ، فى ساحة البيت الحرام حيث قال سبحانه :

ـ ((اليــوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكــم نعمتى ، ورضيت لكم الإسلام دينا ..)) .

* * *

ولقد قر فى افئدة أهل الكتاب جلال هذا المعنى الرهيب ، فقال اليهود عندما سمعوا الآية الخاتمة :

ـ لو أنزلت هذه الآية علينا لجعلنا يومها يوم عيد .. !!

ولا غرو أن كان فتح مكة هــو امتلاك للنبع الأعظــم

لفيوضات السماء ، كى تبدأ دعوة الله فتح القلوب فى مشارق الأرض ومغاربها ، فى استواءة كاملة على طريق الحق الأعظم .. ومن ثم لم يكن عجبا ، أن يكون شعار الفتح على لسان الرسول الأعظم :

ـ قل جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقا ..

* * *

الكعبة معين الفيض الأعظم :

ولقد كان فتح مكة بالنسبة لرسالة السماء ، هو شغل الرسول الأعظم الشاغل ، منذ أن أخرجه قومه منها ، لأنه يرى بعين البصيرة أن كمال رسالته فى هذا الوجود مرتبط بامتلاك دعوته لفيض الحق الأعلى من معين الكعبة البيت الحرام .. ولقد قال قولته الخالدة وهو ينظر الى مكة عند خروجه منها : يخاطبها فيقول :

ـ « والله إنك لأحب أرض الله إلى ، ولولا أن قومى أخرجونى منك ما خرجت .. » !!

ومن ثم كان فتحها هو مبعث همه وأوج غايته وأقدس مراميه ..

ولقد شرعت الصلاة ، واتجه المسلمون خلف امامهم

الأعظم نحو بيت المقدس قبلة أهل الكتاب .. وظل أمله فى الله يملأ قلبه أن يصدقه نعمة الكمال لسيادة العالمين ، أنبياء ومرسلين وموحدين .. حتى أنزل عليه قوله الأكرم :

— ((قد نرى تقلب وجهك فى السماء ، فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطرة ..)) .

لقد نزلت هذه الآية وقد انتهى المسلمون خلف امامهم الأعظم من صلاة العصر ، فأبى صلى الله عليه وسلم — شأن الراغب الملهوف — الا أن يعيد نفس الصلاة شطر القبلة العظمى ..

* * *

وتتابع الوحى بوعد الله يعلن بالفتح الأعظم :

— ((لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا . هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا .)) .

وتتابع الوحى مبشرا بالنعمة العظمى ، لتتم الرسالة ؛ ولترتقى الى أوج الخلود العلوى ، بامتلاك معين الفيض

الأعظم ليدخل الناس فى دين الله أفواجا . ولتشهد السماء لرسولها الأعظم بأنه الرسول الأكمل للرسالة الأكمل فى تاريخ الوجود كله .. ليغادر الدنيا بعد ذلك وقد بلغ أمانة السماء الى الناس كافة شاملة كاملة وليترك المؤمنين من بعده على المحجة البيضاء ليلها كنهارها .. فقال عز من قائل :

ـ ((إذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا . فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا)) .

***

شفاعة الكعبة :

ولقد علم صلى الله عليه وسلم أسرار الكعبة فى حياة الخلائق المؤمنة برسالته ، شأنها فى حياة الخلائق المؤمنة برسالة الرسل من قبله . فأعلن عنها بوحى من ربه ، ليعتصم المؤمنون بها لاقامة أمر أمنهم فى دنياهم وأمر أمانهم فى اخراهم ، فقال صلى الله عليه وسلم ضمن ما قال :

ـ ((ينزل على هذا البيت كل يوم مائة وعشرون رحمة ، ستون للطائفين ، وأربعون للمصلين ، وعشرون للناظرين)) .

ـ « إن الكعبة تحشر يوم القيامة كالعروس المزفوفة ، يتعلق باستارها كل من حـج إليها ، فتدخل الجنة فيدخلون معها .. » .

ـ « إن الله عز وجل قد وعد هـذا البيت ان يحجه فى كـل سنة ستمائة الف ، فإن نقصوا أكملهم الله عز وجل من الملائكة » .

ـ « إن الحجر الأسود ياقوتة من يواقيت الجنة ، وانه يبعث يوم القيامة له عينان ولسان ينطق به ، يشهد لكل من استلمه بحق وصدق » .

ـ « الحجر الأسود يمين الله عز وجل فى الأرض يصافح به خلقه ، كما يصافح الرجل اخاه » (١) .

ـ « ما رئى الشيطان فى يوم اصغر ولا ادحر ولا احقر ولا اغيظ منه يوم عرفة » .

حتى لقـد فسر بعض العلماء قوله تعالى بشـأن قول إبليس :

ـ « لاقعدن لهم صراطك المستقيم » .

---

(١) قال الامام الخطابى : معنى انه يمين الله فى الأرض ان من صافحه فى الأرض كان له عند الله عهد .

فقالوا : اى طريق مكة حيث يمنع عبـــاد الله عن حـــج بيته ، ليبعدهم عن رحمته وتوبته ورضوانه . . .

ولا عجب أن ترتبط حياة الكون بحياة البيت الحـــرام ، حيث يقول الحـــق تبارك وتعالى فى حديثه القدسى : ((**إذا اردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيتى فخربته ، ثم اخرب الدنيا** على اثره)) !!!

*** * ***

فتـــح القـــــلوب :

ان عظمة الفتح لم تكن فى معركة حاسمة ، استولى بها الرسول الأعظم على مكة البلد الحرام . . وانما كان نصر الله وفتحه للقلوب . . والا فهل يمكن لبلد مغزو مغلوب على أمره أن يؤمن فى صميمه ايمان الصادق الحر . . وهـــو الضعيف مسلب الارادة ! ؟؟

ومن هنا لا نعجب حين يرد العباس بن عبد المطلب على قول أبى سفيان وهو ينظر الى جيش الايمان العظيم :

ـــ لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما .

أجل . . هنا يجيبه العباس فيقول :

ـــ لا يا أبا سفيان . . انها النبوة !!

ومن هنا لا نعجب أن يكون فتح الله هو فتح القلوب ، فلا يمسى رجل أو امرأة الا بين مؤمن ومؤمنة ..

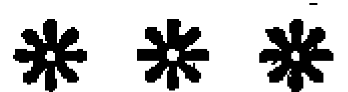
ليس ذلك فحسب ، بل يكتمل بهم فى عشية أو ضحاها جيش الايمان اثنى عشر ألفا .. ليزحف الى بقية أعداء الله فى الجزيرة .. الى هوازن وثقيف ، ليقف أمام سبعين ألفا أو يزيدون ، فينزل بهم أنكى الهزيمة ، ليعودوا الى صراط الله العزيز الحميد . وليتحقق قول الرسول الأعظم :

ــ لن يغلب اثنا عشر ألفا من قلة !!

بل لا تعجب أن يولى الرسول الأعظم من أهل مكة من يخلفه على مكة غداة يوم الفتح ويؤمره على سوق مكة وأمر تعاملها .. لقد ولى هذه الأمانة سعيد بن سعيد بن العاص الكافر بالأمس .. !!

على أن جيش الفتح لم يكن ألا وسيلة الحق الأعظم ، الجديرة بهيبة هذا الحـــق ، لأنه جند الله ، وعمـــاد وعده الصادق لرسوله بالفتح .. ولأنه الرمز الالهى اعدادا ونهجا وسلوكا ..

اجـــل .. انه الوســـيلة .. فمـــاذا كان أمـــر هذه الوســـيلة ! ؟؟



٢ - الوسيلة

اعداد العدة قدر الاستطاعة :

ان من سنة الله فى خلقه أن تقوم الأمور على مقتضى أسبابها والأسباب هى عدة النجاح فى امتثال أمر الله بالأخذ بها ..

ولئن كانت قدرة الله من وراء هذه الأسباب هى الأصل من وراء كل نصر ، فان هذه الأسباب انما هى عدة المؤمنين ليكونوا أهلا لنصر الله .. قال تعالى :

— وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم ..)) .

وليس من المتعين فى حرب أعداء الله أن تكون أسلحة المسلمين أكثر أو تعادل أسلحة الكفار ، وانما المتعين هو الاعداد جهد الاستطاعة ، لأن النصر فى النهاية هو نصر الله ، وهو وقف على الصادقين من عباده ..

ولقد دارت معارك الحق بين المسلمين وبين أعدائهم ، وكانوا فى كل غزوة اقل عددا وعدة ، ومع ذلك فكان النصر حليفهم فى كل معركة ..

* * *

ولا يذكر التاريخ أن جيشا اسلاميا فاق أعداءه عددا وعدة الا جيش الفتح .. فقد فاقهم بأكثر من خمسة اضعاف . !!

ذلك أن وجهة الرسول وأصحابه لم تكن حربا ، وانما كانت سلما فى البلد الحرام ، وفى شهر الصوم .. حتى لقد غضب الرسول الأعظم من خالد بن الوليد حين قاتل عند الخندمة حين تصدى له بعض شباب قريش يقاتلونه . . ولا عجب أن ينظر أبو سفيان بن حرب الى جيش الفتح الرهيب ، فيستثير قلبه من جلال النبوة ، فلا يسعه الا أن يسلم نفسه لله رب العالمين .. وينثر شعره فيقول فى قصيدة طويلة :

لعمرك انى يوم احمل راية
لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكالمدلج الحيران أظلم ليله
فهذا أوانى حين أهدى فأهتدى

وهكذا كان شأن أهل مكة جميعا أمام جيش الفتح

لقـــد وضـعوا سـلاحهم ، واغلقوا عليهم دورهـــم ، واعلنوا اسـلامهم لله رب العالمين .

* * *

ولقد كان جيش الفتح ســـفارة الهية بقيادة الرســـول الأعظم ، احتوت عبر السماء وتوجيهاتها ، وحكمة الرسول والهاماته ، وأدب السلوك الاسلامى وبعد مراميه .

لقـــد كان صلح الحديبية فى الســـنة السادسة الهجرية قد قام على أن يعـــود المسلمون من عامهم ذلك الى المدينة دون ان يدخلوا مكة ، وعلى أن يدخـــل فى عقد المسلمين من شاء من القبائل ، ويدخل فى عقد قريش من يشاء منها .. وأن يعيد الرسول الأعظم من يخرج اليه من قريش مؤمنـــا به ، وعلى أن توضع الحرب بينه وبين قريش عشر سنين ..

نقض العهد ايذان بالفتح :

ولقد كان هذا العهد بالغ الشدة على قلوب المؤمنين .. لولا أن طمأنهم الرسول الأعظم بأنه سيكون من خلال ذلك نصر الله والفتح ..

ولم يمض عامـــان حتى نقضت قريش عهـــدها ، فانتهزت فرصة من مسلمى خزاعة وبنى كعب وهما بطنان

دخـــلا فى عقد المسلمين يوم الحديبية وآثروا الايمان بالله ورسوله وان نأت بهم الدار وعظـــم عليهم خطر الجار .. فانقضت عليهما مع حلفائهما من بنى بكر وبنى الديل بدافع الحقـــد الدفين ، وتحت جنح الظلام وأثخنتهما قتلا وجراحا وتعذيبا ..

وأقبـــل وفـــد خـــزاعة وبنى كعب . . ووقف زعيمهم عمرو بن سالم الخزاعى بين يدى رسول الله بمسجده أمام ناظرى المسلمين ، فسلم ثم أنشد يقول :

يارب انى ناشـــــــد محمـــــدا
حلف أبينـــــــا وأبيـــــه الأتلدا
قـــــد كنتمـــو ولـــدا وكنا والـــدا
ثمت أســـــلمنا فـــلم ننزع يـــدا
فانصر هـــــداك الله نصرا اعتـــدا
وادع عبـــــاد الله يأتوا مـــــددا
فيهـــم رســـــول الله قـــد تجردا
ان ســـــيم حســـفا وجهـــه تربدا
فى فيلق كالبحـــر يجـــرى مـــزبدا
ان قريشـــــا أخلفـــوك الموعـــدا
ونقضـــــوا ميثـــاقك المؤكـــدا
وجعـــلوا لى فى كداء (١) رصـــدا

---

(١) كداء : جبل بأعلى مكة .

وزعمــوا أن لست أدعــو احــدا
وهــم أذل واقــل عــــددا
هــم بيتونا بالوتــير (١) هجــداً
وقــتلونا ركعـــا وســـجدا

وسكت عمرو .. فقــال رسول الله صلى الله عليــه وسلم :

ـ ((**نصرت يا عمرو بن سالم**)) .

ثم رفع النبى بصره الى السماء من خلال احدى نوافذ المسجد ، فرأى سحابة قائمة تسير مسرعة نحــو مكة ، فأشار اليها صلى الله عليه وسلم وهو يقول :

ـ ((**ان هذه السحابة لتسهل بنصر بنى كعب**)) !!

وتهلل وجـــه عمرو فجلس بين صفوف المسلمين فرحا مسرورا ، بينما اخذت الحيرة والدهشة ترتسمان على وجوه أصحاب رسول الله .

واستأذن الوفــد فى العودة الى ديارهم ، فأذن لهــم الرسول الأعظم ..

---

(١) الوتير : ماء لخزاعة بأسفل مكة .

ولم تمض هنيهة حتى وقف المسلمون على حقيقة الأمر من رسولهم ، وهنا أمرهم ان يكتموا الأمر حتى يقضي الله ورسوله بقضائهما . . على ان يكونوا على الأهبة والاستعداد ، ثم دعا ربه يقول :

ـ اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها ..

* * *

دروس الايمان :

وتتتابع عبر الايمان ، وتتوالى دروس الحق من قلوب جند الله رجالا ونساء .. وينزل الوحى من خلال ذلك بفيض من شرائع السلوك الاسلامى تمهيدا لمسيرة السلام الرهيبة ..

فلقد شعرت قريش بوخامة صنيعها ، فبادرت بوفادة ابى سفيان بن حرب ، فدخل المدينة سرا ، ونزل على ابنته أم حبيبة أم المؤمنين .. لتعاونه فى أن يجدد الرسول الأعظم العهد مع قريش ، فما كاد يهم بالجلوس على فراش رسول الله حتى بادرت برفعه حتى لا يجلس عليه !!

فقال متعجبا :

ـ يابنية ، ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفراش ، أو رغبت به عنى !! ؟

فأجابته على الفور :

ــ هو فراش رسول الله ، وانت مشرك نجس ، فلم احب أن تجلس على فراشه !!

فرد عليها مبهوتا يقول :

ــ يا بنية .. والله لقد أصابك من بعدى شر !!

وتتتابع عبر الايمان .. فيسرع ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكلمه ، فلم يرد عليه شيئا .. ثم يسرع الى ابى بكر يطلب منه أن يكلم رسول الله ، فقال له : ما أنا بفاعل .. ثم اتى عمر بن الخطاب فكلمه ، فأغلظ عليه الفاروق وقال : اأنا اشفع لكم الى رســــول الله صلى الله عليه وسلم ! ؟ فوالله لو لم أجد الا الذر لجاهدتكم به !!

ثم خـــرج ابو ســـــفيان فدخـــل الى على كرم الله وجهه وعنده فاطمة بنت رسول الله وعندها الحسن بن على وهو غلام يدب بين يديها ، فقال : يا على ، انك امس القوم بى رحما ، وانىقد جئت فى حاجة فلا أرجعن كمـــا جئت خائبا ، فاشفع لى الى رســـول الله صلى الله عليه وسلم .. فقال على : ويحك يا أبا سفيان !! والله لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على امر ما نستطيع أن نكلمه فيه .. فالتفت أبو سفيان الى فاطمة فقال : يا ابنة محمد ، هل لكأن

تأمرى بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب الى آخر الدهر . ! ؟ ، فأجابته على الفور تقول : والله ما بلغ بنبى ذلك أن يجيربين الناس ، وما يجير أحد على رسول الله صلى الله عليه وسلم . . فقال أبوسفيان لعلى كرم الله وجهه: يا أبا الحسن ، انى أرى الأمور قد اشتدت على فانصحنى ، فأجابه قائلا : والله ما أعلم لك شيئا يغنى عنك شيئا ، ولكنك سيد بنى كنانة ، فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك، فقال أبو سفيان : أو ترى ذلك مغنيا عنى شيئا ! ؟ فأجابه كرم الله وجهه يقول : لا والله ما أظنه ، ولكنى لا أجد لك غير ذلك !!

وأسرع أبو سفيان الى المسجد فقال : يا أيها الناس ، انى قد أجرت بين الناس !!

ثم انطلق فأتى قريشا ، فقالوا له :

— ما وراءك !! ؟

فأجابهم يقول :

— جئت محمدا فكلمته فوالله ما رد على شيئا ، ثم جئت ابن أبى قحافة فلم أجد فيه خيرا ، ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أعدى العدو ، ثم أتيت عليا فوجدته ألين القوم ، وقد أشار الى بشىء صنعته ، فوالله ما أدرى هل يغنى ذلك شيئا أم لا . .

وسألته قريش فقالت :

ـ وبم أمرك ! ؟

قال :

ـ امرنى ان أجير بين الناس ففعلت ..

فقالوا له :

ـ هل اجاز ذلك محمد ؟؟

قال :

ـ لا . !!

فقالوا له :

ـ ويلك !! والله ان زاد الرجل على أن لعب بك ، فما غنى عنك ما قلت ! ؟

فلم يزد أبو سفيان عن أن يقول :

ـ لا والله ما وجدت غيره . !!

* * *

ولاء الطاعة وحفظ السر :

وتتتابع عبر الايمان ..

ويدخل ابو بكر الصـــديق على ابنته عائشـة أم المؤمنين، فيجدها تنقى بعض الحنطة ــ وكان رسول الله قد أمرها أن تجهز للغزو وأن تخفى ذلك ــ فسألها رضى الله عنه يقول :

ــ يا بنية ، لم تصنعين هذا الطعام ؟ !

فسكتت ، ولم تنطق بشىء . !!

ثم سألها يقول :

ــ أيريد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يغزو ؟؟

فسكتت ولم تنطق بشىء !!

ثم سألها يقول :

ــ أيريد ببنى الأصفر ــ يعنى الروم ــ ؟؟

فسكتت ولم تنطق بشىء !!

ثم سألها يقول :

ــ فلعله يريد قريشا .. !

فسكتت ولم تنطق بشىء !!

* * *

وهنا تركها وانصرف لا يلوى على شىء ، ولم ينـــكر عليها .. !!

وتتتابع عبر الايمان فى مختلف صوره ..

فهذه امرأة يبعث بهـا حاطب بن أبى بلتعـة صاحب رسول الله بكتاب منه الى قريش، يخبرهم باستعداد الرسول الأعظم لغزو مكة ، ويحذرهم .. لقد أراد هذا الصحابى يدا عند قريش ، فلا يبطشون بأهله الضعفاء بينهم . !!

وينزل على رسـول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء ، فيستدعى عليا والزبير بن العوام ويأمرهما بأن يدركا المراة ويأخذا منها كتـاب حاطب . . فأسرعا حتى أدركاها ، فأنكرت أول الأمر ، فما كان منهما الا أن كذباها .. ثم انذرها على قائلا :

ـ انى أحلف بالله ما كذب رسـول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذبنا ، ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك !!!

فلما أعرض بوجهه حلت قرون رأسـها فاستخرجت وقالت :

ـ اعرض ..

فلما رات المراة ألجد منه ، لم يسعها الا الاعتراف ، واخرجت الكتاب منها فدفعته اليه .

واستدعى الرسـول الأعظم حاطبا ، فسأله عن أمـر الكتاب ، فقال رضى الله عنه :

— يا رسول الله ، أما والله انى لمؤمن بالله ورسوله ، ما غيرت ولا بدلت ، ولكنى كنت أمرءا ليس لى فى القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لى بين اظهرهم ولد ، فصانعتهم عليهم .. ولم أفعله ارتدادا عن دينى ولا رضى بالكفر بعد الاسلام ..

فقال عمر :

— يا رسول الله ، دعنى أضرب عنق هذا المنافق . !!

ولكن الرسول الأعظم وقد علم صدق حاطب ، قال لعمر :

— « يا عمر ، انه شهد بدرا .. وما يدريك لعل الله قد اطلع على من شهد بدرا فقال : أعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم .. » !!

* * *

ونزل قول الله مخاطبا المؤمنين فى شخص حاطب ، يردد سلوك أهل الايمان وأحوال اهل اليقين ، كى يكتمل فى قلوبهم نبض الحق وأسراره .. فقال جل وعلا :

— « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ، وقد كفروا بما جاءكم من الحق ، يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم

جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى ، تسرون إليهم بالمـــودة وأنا أعـــلم بما أخفيتم وما أعلنتم ، ومن يفعـــله منكم فقـــد ضل سواء السبيل ، إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون . لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير . قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معـــه إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينـــكم العـــداوة والبغضـــاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحـــده ، إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شىء ، ربنـــا عليك توكلنـــا وإليك أنبنا وإليك المصـــير . ربنا لا تجعلنـــا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم . لقـــد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، ومن يتول فإن الله هـــو الغنى الحميد . عسى الله أن يجعـــل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة ، والله قدير والله غفور رحيم)) .

* * *

مســـيرة السماء :

وخرج رســـول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة فى عشرة آلاف فى مقدمتهم المهاجرون والأنصار صائمين لعشر خلون من رمضان فى السنة الثـــامنة الهجرية .. حتى نزلوا

موقعا يدعى « مر الظهران » بالقرب من مكة ، وقد عميت الأخبار عن قريش ، فلا يأتيهم خبر عن رسول الله ولا يدرون ما هو فاعل .. حتى خرج أبو سفيان فى احدى الليالى فى رفقة من قريش يتحسسون الأخبار ، فما راعه الا نيران المسلمين تنتشر فى الأفق البعيد من مشرقه الى مغربه . . فقال لمن حوله :

ــ ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا !!

ويجيبه بديل بن ورقاء :

ــ هذه والله خزاعة حمستها الحرب .. !!

فقال أبو سفيان :

ــ خزاعة اقل واذل من أن تكون هذه نيرانها ..

* * *

وبينما هو فى همه وحيرته ، اذ يلتقى به العباس عم رسول الله خارجا من مكة هو الآخر ــ وكان قد اسلم قبل ذلك ــ فبادر أبا سفيان فقال :

ــ ويحك يا أبا سفيان ، هذا رسول الله فى الناس . !!

عند ذلك ضرب أبو سفيان وجهه بكلتا يديه وهو يقول :
ــ وأصباح قريش والله . . !! فما الحيلة فداك أبى وامى .. !؟

فأجاب العباس رضى الله عنه قائلا :

ـ والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك ، فتعال معى آتى بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستأمنه لك ..

ودخل العباس وأبو سفيان على رسول الله ، فقال له صلى الله عليه وسلم :

ـ « ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تعلم أنه لا اله الا الله ؟؟ » .

فقال أبو سفيان :

ـ بأبى أنت وأمى ما حلمك وأكرمك وأوصلك ، لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عنى شيئا .. ؟؟

فقال صلى الله عليه وسلم :

ـ « ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله ؟؟ »

وهنا يتجلى أمان الحرية ، فيجيب أبو سفيان :

ـ بأبى أنت وأمى ، ما أحكمك وأكرمك وأوصلك ، أما هذه فان فى النفس منها حتى الآن شيئا .. !!

ولم يطق العباس صبرا فقال لأبى سفيان :

ـ ويحك ، أسلم وأشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك !!

وارتاحت نفس أبى سفيان دون خوف ، فأسلم وجهه لله رب العالمين .

رايات السلام والعفو :

وتحلق فى سماء الخلود رايات السلام ، ويستجيب الرسول الأعظم لعمه العباس أن يجعل صلوات الله وسلامه عليه لأبى سفيان بعض الفخر والمكانة فى قومه مما يصون كرامته بينهم ، ويحبب اليه الايمان ويزينه فى قلبه ، ويهدىء روعة قريش بالعفو والأمان وقد فتحت قلبها لاستقبال النبوة ورسالة التوحيد .. فقال صلى الله عليه وسلم :

ـ « نعم .. من دخل المسجد فهو آمن ، ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن . »!

وأخذت جحافل المسلمين تزحف نحو أبواب مكة من جميع نواحيها ، يتقدمها الرسول الأعظم على رأس الكتيبة الخضراء من المهاجرين والأنصار ، وقد خفض صلى الله عليه وسلم هامته تواضعا لله وشكرا ، حتى لقد كادت رأسه أن تمس رحل ناقته .. وجند الله من خلفه لا يرى منهم الا الحدق من الحديد ..

ووقف العباس مع أبى سفيان على مرتفع من الوادى وهو يرى جيش الفتح الرهيب المسالم ، وقد عاد الى البلد التى أخرجت حفنة الايمان منذ نيف وعشرين سنة ، يضم

تحت الويته شتى القبائل من أقصى الجزيرة الى أقصاها ..
فلم يستطع أبو سفيان الا أن يسأل العباس كلما مرت عليه كتيبة ، فيجيبه رضى الله عنه : هذه قبيلة سليم .. وهذه مزينة وهذه . . وهذه . . فلم يجد الا أن يقول :

— ما لأحدبهؤلاء قبل ولا طاقة ! ! والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما .. !!

فيبادره العباس فيقول :

— انها النبوة يا أبا سفيان .. !!

ولم يستطع أبو سفيان الا أن يقول :

— فنعم اذن !!

* * *

ويسرع من خلال المشهد الجليل رجل ليقف أمام الرسول الأعظم يريد أن يعلن اسلامه ، وقد أخذته رهبة الموقف فأخذ يتلعثم ، فقال له الرسول الأعظم :

— « هون عليك ، فانى لست بملك ، انما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد .. »

ويسرع الركب النبوى وجهة الكعبة الشريفة والبيت الحرام وقد لبس صلى الله عليه وسلم عمامة سوداء ، يرفرف من فوق رأسه لواؤه الأبيض ، وأخذ يردد فى خشوع

سورة الفتح .. ثم اخذ يردد فى جنبات مكة والمسلمون من ورائه شعار الفتح الأعظم ، حتى ارتجت جنبات مكة .

ـ قل جاء الحق وزهق الباطـل ، ان الباطـل كان زهوقا ..

ـ لا إله إلا الله وحده ، صـدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده .

* * *

وانتهى الرسـول الأعظم الى المقـام فصلى ركعتين ، ثم انصرف الى زمزم فشرب وتوضـأ والمسـلمون يبتدرون وضوءه يصـبونه على وجوههم ، وأهـل مكة يتعجبـون ويقولون :

ـ ما رأينا ملكا قط أبلغ من هـذا ولا سمعنا به .. !!

وطأطأت هامات الكـون أمام كلمـة السلام والعفـو يعلنها رسول الانسانية ونبى الرحمة على أهل مكة ، وقـد وقف على باب الكعبـة بعد أن حطم أوثانها .. يقول :

ـ « لا إلا الله وحـده لا شريك له ، صـدق وعـده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده .. »

ـ « يا معشر قريش ، ان الله قد أذهب عنـكم نخوة الجاهلية ، وتعظمها بالآباء ، النـاس من آدم ، وآدم خلق من

تراب .. **« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير »** .

ــ « يا معشر قريش ويا أهل مكة .. ما ترون أنى فاعل بكم » فقالوا بلسان واحد :

ــ أخ كريم وابن اخ كريم .. !!

فقال صلى الله عليه وسلم :

ــ « لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين .. اذهبوا فأنتم الطلقاء » !!

* * *

محتويات الكتاب

الموضـــوع	الصفحة

* * *

كتب للمؤلف

(أ) فى سلسلة التاريخ الاسلامى :

١ ــ الفارس المصلوب (عبد الله بن الزبير) طبعة ثانية
٢ ــ اللواء الأحمر : (شهداء الطليعة) نفد وتحت الطبع
٣ ــ قاهر الصخرة (طارق بن زياد) نفد
٤ ــ أسد العرين (صلاح الدين الأيوبى) نفــد

(ب) فى سلسلة رسائل الدعوة :

٥ ــ العقيدة الاسلامية من خلال النظر فى بدء الخلق والنشأة طبعة ثالث
٦ ــ محمد رسول الاسلام فى نظر فلاسفة الغرب وكبار علمائه وكتابه
٧ ــ عبرة الموت ومقومات خوف الله
٨ ــ مقومات البر ، ومناهج البذل فى القرآن الكريم
٩ ــ ورثة الكتاب : (رسالة العلماء)
١٠ ــ أسرار الأسراء والمعراج جسدا وروحا
١١ ــ مقومات النصر فى بدر الكبرى .. وفتح مكة

١٢ ـ أسرار الحج نفـــد

(جـ) فى سلسلة رسائل المرأة المسلمة :

١٣ ـ الحركات النسائية فى الشرق وصلتها بالاستعمار والصهيونية العالمية

١٤ ـ السيدة زينب (عقيلة بنى هاشم)

(د) فى سلسلة التاريخ القومى :

١٥ ـ ثورة سنة ١٩١٩ ـ مقوماتها ونتائجها نفـــد

١٦ ـ من هو سعد زغلول ؟ نفـــد

١٧ ـ حقيقة الثورةالعرابية نفـــد

١٨ ـ الوعود البريطانية نفـــد

(هـ) فى سلسلة الكتب العلمية والتخصصية :

١٩ ـ دراسات نظرية وعملية فى حقل الفنون الأثرية وطرق الصيانة والترميم الحديثة

دار العلوم للطباعة

القاهرة ٨ شارع حسين حجازى (القصر العينى)

ت ٣١٧٤٨٠

رقم الايداع : ٨٠/٤٤٠٩

الترقيم الدولى : ٤٠٠٠ ـ ٧٣٢٨ ـ ٧٧

هذه الرسالة

اعتاد الناس أن يحتفلوا بذكرى بدر وفتح مكة من كل عام حيث الخطب الرنانة والكلمات الحماسية عن هذه الذكرى ، وتمر هذه الاحتفالات وتمضى معها الذكرى الى هاوية النسيان ..

ذلك أن الخطباء والمحاضرين يتناولون مثل هذه الذكريات من جانب العواطف والوجدان التى تثير لساعتها ثم تنطفىء .

وفى هذه الرسالة دراسة لعبر النصر ومقوماته فى هاتين الغزوتين أدراكا وغاية ، وهدفا ووسيلة .. ارتبطت صلتها بعبرة القرون من لدن آدم الى بعثة خير الانام ، بل الى ما قبل خلق آدم بآلاف السنين ، حيث جمعت هاتان الغزوتان منهج الدين كله على أختلاف الانبياء والعصور والاصقاع ..

